# مادام المصدرية الشرطية وشواهدها

الأستاذ صبحي البصام

**تمهيد :**

جاء في هذه المجلة الزهراء [ ج ٢ مج ٥٢ / ١٩٧٧ م ] قول في « مادام في بعض تعبيرات عصرية » ، وهو فرع على مقالة عنوانها « آراء وأنباء » . ويُستفاد منه أنّ جَمَيعة من أعضاء مجمع اللغة العربية في القاهرة ومن أعضائه المراسلين تذاكروا تعبيراً يرون أنه عصري ، وهو تقدّم « مادام » في نحو قولهم : « مادام عليّ مجتهداً في دروسه فسيكتب له النجاح » . وقالوا إنّ النحاة قالوا في « مادام » بـ « وجوب تأخرها عمّا يكون مظروفاً أو جملة » . ثم أجازوا التعبير على أحد وجهين : أحدهما أن تكون جملة « مادام » مقدّمة من تأخير ، والآخر أن تكون ( ما ) زمانية شرطية ، كما في قوله تعالى : ﴿ فما أستقاموا لكم فأستقيموا لهم ﴾ . ورأى بعضهم ، وهو الأستاذ الفاضل عباس حسن أن يُجاز التعبير على أنّ « دام » تامة بمعنى بقي فلم يؤخذ برأيه .

**مادام المصدرية الشرطية :**

١ ـ والحق الذي لاشوب فيه ، أنّ « مادام » هذه ليست عصرية ، بل هي قديمة صحيحة . وردت في منطق الفصحاء ، وجرت في كلام علماء اللغة ولاسيّما الخليل الفراهيدي والفرّاء وابن السّكيّت والزجّاجي وابن سيدة والزمخشري ، وهم ممن عُرف بجلالة القدر ، واستنارة البصيرة ، والتوفرّ على حفظ اللغة ، وتقويم دَرْئها ، ورمّ ماآسترمّ منها . وأقدمُ من وجدته يستعملها نثراً طُوَيس ، وكان وُلد يوم توفي النبيّ صلى الله عليه وسلّم .

جاء في فوات الوفيات [ ١ / ٤١٨ ت . عبد الحميد ] أنه كان من شؤمه يقول : « ياأهل المدينة ، مادُمتُ بين أظهركم فتوقعوا خروج الدابّة والدجّال » . وأقدم من



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وجدته يستعملها شعراً عبد الرحمن الداخل[ ١١٣ ـ ١٧١ هـ ] ، وهو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ، قال[ نفح الطيب ٣ / ٤٣ ت . إحسان عبّاس ] :

**مـادام من قـلبي إمـام قـائم فـالمُلك فيكم ثـابت متـواصـل**

ونقل مؤلف النفح من المسهب أنّ عبد الرحمن هذا : « كان من البلاغة بالمكان العالي الذي يرتّد عنه أكثر بني مروان حسيراً » .

٢ ـ فـ « مادام » قديمة في تقدمها ، وهي مصدرية شرطية ، وإن شئت قلت ظرفية شرطية ، لأنها تقدّر بمصدر نائب عن ظرف الزمان محتملاً معنى الشرط . ففي قولك « مادام زيد مريضاً فأنا مهموم » تكون مدّة المرض شرطاً في الهمّ . و « ما » في « مادام » حقّها أن تعامل معاملة « ما » في « ماٱستقام » في قوله تعالى : ﴿ فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ﴾ لأنها تشبهها مبنى ومعنى . وقد قدّر النحاة الشرط للاسم الموصول ، ومنهم ابن جني في سرّ صناعة الإعراب [ ١ ـ ٢٦٠ ت . السقا . . . ] ، ومن تمثيله لذلك قوله : « الذي يكرمني فله درهم[1] » ، وذلك لأن « الذي » بمعنى مَنْ الشرطية . فاذا عومل الموصول الذي لايشبه لفظُه لفظَ الشرط معاملته ، فما أشبه أداة الشرط باللفظ والمعنى كان أحقّ بتلك المعاملة .

---

(١) كأني بابن جني يوجب إدخال الفاء هاهنا لقوله في مَثَله : « ولو قلت الذي يكرمني له درهم ، لم يدل هذا القول على أن الدرهم إنما يستحق للإكرام ، بل هو حاصل على كلّ حال » . وأظنّ أن حذف الفاء جائز إذا عُرف المراد من سياق الكلام ، لأن وجه الشبه بين الذي والشرط ليس بالقدر الذي يقتضي هذا الوجوب ، ومن الحذف القريب من ذلك قول والد ابن العميد في رسالة له [ يتيمة الدهر ٣ / ١٠ ] : « وكلّ ضيقة إلى رخاء ، وكلّ غمرة فإلى انجلاء » فحذف الفاء أولاً وأثبتها آخراً . ومما قُدّر له الشرط النكرة الموصوفة ، كقول معاذة العدوية [ البخلاء ص ١٤٨ ت . الحاجري ] : « كلّ مقدور عليه فمقلوّ محقور » ، والتقدير كلّ شيء مقدور عليه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

٣ ـ وتقديم مادام قد تقتضيه حاجة بلاغية ، كأنْ تؤثر أن تقول : « مادام زيد غاضباً فلن أكلّمه » ، على أن تقول « لن أكلّم زيداً مادام غاضباً » ، كي لايتوهم السامع ، قبل أن تتم كلامك ، أنك تريد عدم تكليم زيد على أي حال . ألا ترى الى حسن تأتّي الخليل الفراهيدي في تقديمه « مادام » في قوله لرسول سليمان بن علي ، عمّ السفاح والمنصور ، وهو يشير إلى خبز بيده : « مادُمتُ أجده فلا حاجة لي إلى سليمان » [ نزهة الألباء ص ٤٤ ت . أبو الفضل ] . ولو كان بدأ قوله بـ « لاحاجة لي إلى سليمان . . . » لاحتمل أن يرى راءٍ أنّ قوله يعوزه شيء من التحرّز والكَيْس .

٤ ـ ثم إننا قد نحتاج إلى تقديمها عند الاستدلال ، والأكثر أن تُقرن عندئذ بالفاء ، كأنْ يُكشف عن حال أمر من الأمور ، فيُقال استدلالاً : « فما دام الأمر على هذا الانكشاف والوضوح فقد بطلت إقامة الأدلة عليه » . ومنه قول أبي بشر الفارسي الحافظ ( اليتيمة ٣ / ٨ ) :

**شكى النقرسَ نقريسٌ أخو علم ونِطِّيسُ**
**فما دام لكم قوسٌ فنفسي لكُمُ جُوسُ**

قال فيه الثعالبي : « وكان متقدّماً في علم العربية متأخراً في قول الشعر » وفسّر شعره هذا ، فمن شاء وقف عليه في موضعه .

٥ ـ وقد تُقَدّم « مادام » لوزن الشعر . ومن له بصر في الشعر ، وتمهّر في عمله ، يعرفُ التحيّل في تأليف كلامه ، والتخيّر في رصف نظامه ، ويُدرك أنّ مايلتوي من هاهنا قد يستوي من هنالك .

٦ ـ ويصحّ أن يُعتدّ تقديمها تقديماً من تأخير ، لأن الأكثر في استعمالها أن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

تُؤخرّ عن الكلام الذي يُتمّ معنى جملتها[٢] .

٧ ـ فإن دخل عليها شرط عند تقديمها زال شرطها ، كقول أعرابي وقد سئل : هل لك في البادية ؟ : « أمّا مادام السعدانُ مستلقياً فلا » [ مجالس ثعلب ق ١ / ٣٤٥ ت . هارون ] ، وكقول بعضهم للمنتصر : « أما مادّمت ياأمير المؤمنين في قلة ممن معك فلن أبرح » [ تأريخ الطبري ٩ / ٢٣٥ ت . أبو الفضل ] وكقول التوحيدي : « فأمّا مادُمنا نرتكض في ظلّة الهيولى فإنا نفقد كلّ حظ جسيم » [ رسائل التوحيدي ص ٧٩ ت . الكيلاني ] وهذه الشواهد الثلاثة المذكورة تدلّ على جواز تقدّم « مادام » بلا دلالة منها على شرط .

٨ ـ ويجوز فيها عند تقديمها أن تعرب « ما » شرطية ، و « دام » تامة ، على أن يصيّر خبرها حالاً . وهذا هو الذي قصد إليه الأستاذ الفاضل عباس حسن على أنّ فيه تكلّفاً بتصيير خبرها حالاً . ومن ورود « مادام » تامة شرطية من غير أن يتلوها منصوبها قول زياد بن سُميّة : « مادام سُلطاننا فالدنيا كلها لنا » [ أنساب الأشراف ق ٤ / ٢٨٣ ت . إحسان عباس ] ، وقول الشريف الرضي [ الديوان ٢ / ٩٠٥ ت . اللبابيدي ] :

فما دُمت فالملك واري الزنا ... دِ صافي الموارد عليّ المباني

و « عليّ » هكذا في الديوان ، ولاأمن أن تكونَ تحريف « عالي » .

---

(٢) من ذلك قوله تعالى حكاية عن المسيح عليه السلام : « وأوصاني بالصلاة والزكاة مادُمتُ حيّاً » ، وقول زهير [ الديوان ص ٢٨٢ صنعة ثعلب ] :

مازال في سيبهم سجل يعمُّهُمُ ... مادام في الأرض من أوتادها وتِدُ

وقول مسكين الدارمي [ الأشباه والنظائر للخالديين ص ٦٠ ت . محمد يوسف ] :

وهبني امرأ راعيتُ مادُمتُ شاهداً ... فكيف إذا مساغبتُ عن بيتها شهرا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

٩ ـ أمّا ماذكره الفضلاء من أعضاء مجمع اللغة العربية في القاهرة من أنّ النحاة قالوا في مادام بـ « وجوب تأخرها عمّا يكون مظروفاً أو جملة » فلم أقف عليه فيما بين يديّ من كتب النحو ، فإن كان قال به بعض النحاة فأظن قوله يعوزه الاستقراء ، وينقصه النظر في وجوه البلاغة . على أني وجدتهم يمنعون أن يتقدم خبرها عليها . قال كمال الدين عبد الرحمن بن الأنباري في كتابه أسرار العربية [ ص ٥٨ ليدن ١٨٨٦ ] : « وأجمعوا على أنه لايجوز تقديم خبر مادام عليها ، وذلك لأن ( ما ) فيها مع ( الفعل ) بمنزلة المصدر ، ومعمول المصدر لايتقدّم عليه » . قلتُ : أي أنّ الممتنع عندهم أن يُقال « لا أكلم زيداً حيّاً مادمتُ » لأن الذي عليه كلامهم : « لا أكلّمُ زيداً مادُمتُ حيّاً » .

ب ـ وزاد ابن مُعطٍ على ذلك أن مَنَع من تقدّم خبرها على اسمها [ الأشباه والنظائر للسيوطي ٣ / ٥ ] ، ودفع منعه بشواهد منها قول الشاعر [ أوضح المسالك ١ / ١٧٠ ت . عبد الحميد ] :

لاطيبَ للعيش مادامت منغّصةٌ  لـذّاتـه بـادّكار المـوت والهرمِ

ج ـ ومنع ابن مالك أن يكون خبر مادام ماضياً . قال الرضي الاستراباذي في شرحه على الكافية [ ج ١ /٢٥٢ ] بعد أن أيد رأي ابن مالك : « لأنّ ( ما ) المفيدة للمدة نحو ماذرّ شارق ، تقلب الماضي في الأغلب الى معنى الاستقبال ، كما يجيء في قسم الأفعال ، فلهذا تقول : أجلس مادام زيدٌ جالساً » . قلتُ : ومن كُتّاب عصرنا من يأتي بخبر ( مادام ) ماضياً ، مضيفاً الى معناها التعليل ، كأنْ يقول : أجلس مادام زيد قد جلس . وهذا أيضاً فاش في لغة العامة منا في العراق .

**شواهد مادام المصدرية الشرطية :**

١ ـ ٤ ـ تقدّم ذكرُ شواهد لطُوَيس وعبد الرحمن الداخل والخليل الفراهيدي وأبي بشر الفارسي ، وهي تشهد بمصدرية مادام وشرطيتها ، وهي أربعة وأنا مُضيف

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

اليها هاهنا سائر ماتحصّل لديّ منها :

٥ ـ قال أبو عبيدة : « مادامت الوديقُ في وداقها فهي في قرّئها وإقرائها » [ تهذيب اللغة ٩ / ٢٧٤ قرأ . ت . هارون ] .

٦ ـ وقال الفرّاء : « يعني الكُفْرَى ، مادام في أكمامه فهو نضيد » [ تهذيب اللغة ١٢ / ٤ نضد . ت . البردوني ] .

٧ ـ وقال ابن السّكّيت : « يقول : مادام الندى فهو في سلوة من العيش » [ إصلاح المنطق ص ٢٠٥ ط . الكاثوليكية ببيروت ] .

٨ ـ وقال الجاحظ : « ومادام صاحبه فيه فإنه بلاء » [ البخلاء ص ٥ ] ،وقال : فما دام عزيزاً قليلاً فهو نفيس جليل آخذ للثمن » [ الدلائل والاعتبار(٣) ص ١٥ حلب ١٩٢٨ ] وقال : « وهو مادام راكبه عليه فهو ألين من كلّ ذي أربع » [ الحيوان ٧ / ٢٢٧ ت . هارون] .

٩ ـ وقال القاهر بعد عزله عن الخلافة وسمل عينيه [ الفرج بعد الشدة ٣ / ٨٣ حاشية للمحقق عبود الشالجي ] :

مـــادام تـــوزون لـــه إمرةٌ مُطـــاعـــةٌ فـــالمِيـــلُ في الجمرِ

١٠ ـ وقال السكري : « يقول : مادام الحمارُ مقيّداً فهو ذليل معترف بالهون » [ الموازنة ١ / ٢٠٨ حاشية للمحقق سيد صقر ] .

١١ ـ وقال الزجّاج : « أي ماداموا في الدنيا فالتوبة معرضة ولا توبة في الآخرة » [ تهذيب اللغة ٤ / ٤٤٧ فتح . ت . العزباوي ] .

١٢ ـ وقال التوحيدي : « والعلّة مادامت علّة فإنها تقتضي شيئاً خاصاً ،

---

(٣) كتاب الدلائل هذا منسوب إلى الجاحظ ولاأحققه له .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والشيء مادام مقتضياً فإنه يتبع علّته الخاصة به » [ المقابسات ص ٣٢٢ ت . السندوبي ] .

١٣ ـ وقال مسكويه في النفس : « حكموا أنها مادامت في البدن ومتصلة بالطبيعة ونجاسات البدن . . . فليست سعيدة على الاطلاق » ، وقال : « إنّ الإنسان مادام في هذا العالم فهو محتاج إلى حسن الحال الخارجة عنه » [ تهذيب الأخلاق ص ٨٥ ثم ص ٩٥ ط . بيروت ] .

١٤ ـ وقال أبو الفتح ذو الكفايتين [ اليتيمة ٣ / ٢٨ ] :

مادام في ليل الصّبا في فاحمٍ رجل الذرى فينان كالعنقودِ
قبل المشيب فطارقات جنوده يُبدلنه يققاً بسُحم سُودِ

١٥ ـ وقال أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطّابي [ اليتيمة ٤ / ٢٣٢ ] :

مادمتَ حيّاً فدار الناس كلّهُمُ فإنما أنت في دار المداراةِ

وقال فيه الثعالبي : « كان يُشبّه في عصرنا بأبي عبيد القاسم بن سلاّم في عصره علماً وأدباً . . . وتدريساً وتأليفاً »

١٦ ـ وقال الثعالبي في « ترتيب سنّ الغلام وتنقّل السنّ به » : « مادام في الرحم فهو جنين ، فاذا وُلد فهو وليد ، ومادام لم يستتم سبعة أيام فهو صديغ . . . ثم مادام يرضع فهو رضيع » [ فقه اللغة ص ١٤١ ] .

١٧ ـ وقال الإمام عبد القادر الجيلي : « مادُمتَ ترى الخلق لاترى نفسك ، ومادمت ترى نفسك لاترى ربّك » [ فوات الوفيات ٢ / ٥ ] .

١٨ ـ وقال ابن سيدة : « وقيل مادام رطباً فهو ضريع فإذا يبس فهو الشّبرق » [ المحكم ١ / ٢٥٠ ض ر ع . ت . السقا ونصّار ] .

١٩ ـ وقال الزمخشري في قوله تعالى : ﴿ واعبد ربّك حتى يأتيك اليقين ﴾ من سورة الحجر : « أي مادمتَ حيّاً فلا تخلّ بالعبادة » ، وقال في قوله جلّ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ثناؤه : ﴿ كأنهم خُشُبٌ مُسَنَّدَة ﴾ من سورة المنافقون : « ومادام متروكاً فارغاً غير مُنتَفع به أُسند إلى الحائط » [ الكشاف ١ / ٢٢٧ ثم ٢ / ١٤٨٦ ط . كلكتا ١٨٥٦ م ] .

٢٠ ـ وقال الأعلم الشنتمري : « يقول : الإنسان مادام حيّاً فإنه لا يدرك أواخر الأمور » [ ديوان امرئ القيس ص ٣٩ ت . أبو الفضل ] .

٢١ ـ وقال عبد الملك بن شُهيد [ نفح الطيب ٣ / ٢٦٠ ] :

**مادام من أرمسلاط مشربنا دع دير عَمّى وطيزنا باذا**

٢٢ ـ وقال بعضهم [ أوضح المسالك ١ / ١٧٠ حاشية للمحقق ] :

**مادام حافظَ سرّي من وثقتُ به فهو الذي لست عنه راغباً أبدا**

٢٣ ـ وقال أبو اسحاق إبراهيم المعروف بالرقيق العديم : « واحتجوا أنّ عصير العنب مادام حُلواً فهو حلال مطلق . » [ قطب السرور ص ٤٦٤ ت . الجندي ] .

٢٤ ـ وقال ماجد بن هاشم الحسيني البحراني ، وهو من المئة الحادية عشرة [ سلافة العصر ص ٥٠٣ مصر ١٣٢٤ هـ ] :

**مادام طرفك لا يصحّ فإنما قلبي على الحَدَق المراض مريضُ**

فعدّة هذه الشواهد أربعة وعشرون ، عاش أصحابها في عصور شتى تبتدىء بالمئة الهجرية الأولى وتنتهي بالمئة الحادية عشرة .

**ختام :**

لمّا قرأت قول الفضلاء من أعضاء المجمع اللغوي في القاهرة بعصريّة تقدّم « مادام » أنكرته ، لتذكري شواهد ممّا قدّمته تشهد لقدمها وصحتها . وهممتُ أن أنبّه على ذلك ، فقعد بي عن التنبيه اشتغال بالي ، ببعض أحوالي ، ثم قلت في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

نفسي : إنهم أجازوه على وجه وجيه ، فما الحاجة إلى التنبيه ؟ ثم إني وجدتُ بأَخَرَة الدكتور إبراهيم السامرائي يخطّىء اللغويّ الشيخ محمداً العدناني في استعماله « مادام » هذه ، وذلك في أثناء مقالة له في هذه المجلة ( ج ٢ مج ٥٦ / ١٩٨١ ) ، فأيقظ راقد عزمي ، وحرّك ساكن نيتي . إنه بتخطئته قد أوجد السبيل على نفسه ، فأُتي من حيث لم يحتسب ، لأن عبارة الخليل الفراهيدي المقدّم ذكرها وهي : « مادُمتُ أجده فلاحاجة لي إلى سليمان » قد مرّت به في ترجمة الخليل إبّان تحقيقه كتاب « نزهة الألبّاء[٤] . . . » ، فلم يرتسم في ذهنه موضع « مادام » منها . وكان قبل سَنيّات استعمل « مادام » هذه في كتاب له مطبوع فما الذي جعله من بعدُ يقول بخطئها وهي صحيحة ؟ أظنّ أنه لم يكن له رأي خاص في تقدمها إلى أن نجم له قول الفضلاء من أعضاء المجمع بعصريتها ، وحصحص ركونهم إلى إجازتها ، فظنّ أنه وقف منها على شيء جديد ، فبدا كَمَن يرفض إجازتها ، ويرفضّ عنها ، وذلك بتخطئته اللغويّ العدناني في استعمالها . وأنّى يفعل ذلك وهو ذو صَغْو إلى التسمّح في لغتنا ، وإلى التفسّح في إدخال التعابير العصرية فيها ؟ وهل يصحّ أن يجتمع الصّغو إلى الشيء والمخالفة إلى ضده ؟ وقد رأيتُ أنّ تخطئته هذه قد يُغَرّ منها جماعة من المعنيين باللغة ، وأنها قد تفرّخ وتبيض بين أهل الأدب ، فأملتُ هذه المقالة ، قاصداً فيها إلى إقامة الحجّة ، وإيضاح المحجّة ، وتوليّ القَرْنَ بالقَصْم ، والداءَ بالحَسْم ، فإن بلغتُ بها المقصود ، وإلاّ فليُفدني مُفيد من علمه ، وعسى أن تكون فائدته صباحاً مغنيا عن مصباحي[٥] .

لندن صبحي البصام

(٤) هو ممن حقق هذا الكتاب . وعبارة الخليل في النسخة التي حققها هي ( ومادمتُ أجده فلا حاجة لي في سليمان ) ( ص ٤٦ ط ٢ / ١٩٧٠ ) باستعمال ( في ) بدل ( إلى ) التي في النسخة المحققة من قبل أبي الفضل إبراهيم .

(٥) المراجع التي رجعت إليها في هذه المقالة وعدّتها تسعة وثلاثون كنت استعرتها من مكتبة SOAS من جامعة لندن ، وكلّ مقالة لي من لندن فمراجعها كلّها أوجلّها من هذه المكتبة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net